Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حفاظا على سلامة النظام اللغوى فى أبنيته ومفرداته ، لكن لا ينبغى – فى الوقت نفسه – التعويل دائما على القياس والخضوع المطلق لكل ما يفرضه فبعض ما يجيزه القياس يتحاماه عرف الناس فى الاستعمال ، وينبو عنه الذوق السليم ، لذا نشارك ابن الأثير الرأى فى هذه القضية وهى الاعتداد بالحسن فى الاستعمال لا بما يجيزه الناس . فالأمر ليس أمر إذعان للقياس وكفى ، كما ذهب الخطيب القزوينى ومن جاراه من مؤلفى البلاغة المحدثين . ونستطيع أن نتبين مخالفة الاستحسان لما يوافق القياس فى بعض الأمثلة التى أوردها ابن الأثير ، مثل كلمة « الفُقُود » فى قول عنترة :

فإن يَبْرأ فلم أنـفِثْ عليـه وإنْ يُفْقَدْ فحُق له الفُقُودُ(١٢)

فهى جمع تكسير للمصدر « فَقْد » ، وهو جمع جائز قياسا لكنه غير مستساغ فى الذوق . ونظير ذلك قول المتنبى :

والقـومُ فى أعيانِهـم حَزَر والخيـل فى أعيـانها قَبَـلُ(١٣)

فقد جمع كلمة « عين » بمعنى العين الناظرة على « أعيان » وذلك جائز من جهة القياس ، لكن الذوق يأبى ذلك ، ولا تجد له على اللسان حلاوة كما يقول ابن الأثير(١٤) . والذى عليه الاستحسان جمع العين الناظرة على « عيون » أو « أعين » فى حين أن « العين » من الناس بمعنى كبير القوم وشريفهم تجمع على « أعيان » .

وحرصا على وضوح الدلالة فى الكلام – وهو أمر جوهرى فى البلاغة العربية – كان رفض البلاغيين لكل ما يجلب الغموض ، وإفاضتُهم فى الحيث عما أسموه « التعقيد » أو « المعاظلة » أو « سوء التأليف » بمعنى اختلال وضع الألفاظ نحويا فى التركيب المعين على نحو ينشأ عنه غموض الدلالة واضطرابها ، ولا ريب أن الوضوح مطلب فى لغة الفهم والإفهام ، فاللغة فى هذا المستوى وسيلة ،

---

(١٢) من أبيات له فى جرية العمرى وقد رماه عنترة فظن أنه قتله ، فلم يفعل .

(١٣) الحزر : ضيق العين ، والقبل : اقبال إحدى العينين على الأخرى ، وذلك تفعله الخيل لعزة أنفسها .

(١٤) المثل السائر تحقيق الدكتورين أحمد الحوفى ، وبدوى طبانة (الرياض . دار الرفاعى ج ١ ط الثانية ص ٤٢٥ – ٤٢٨) .